يذكرون) تذكرا يعلمون بها كونها آيات قاطعة وكون البليات على مخالفتها وانها ليس كبليات المؤمنين كيف (و) من جملتها بليتة الفضيحة كالزانى والسارق فانه (اذا ماأنزلت سورة) مخيطة بفضائحهم وهم فى حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم (نظر بعضهم الى بعض) يسأله بطريق الغمز (هل يراكم من أحد) اذا قمتم من هذه الحضرة فاذا قيل لهم لا يراكم أحد قاموا (ثم انصرفوا) عن حضرته خوف الفضيحة مع انهم يعلمون انها لا تندفع عنهم وانما تندفع بالاخلاص لكن (صرف الله قلوبهم) عن الاخلاص مع ظهور موجبه (ذلك) أى ترك الاخلاص مع ظهور موجبه (بأنهم قوم لا يفقهون) فلا يطلعون على كيفية ايجابها الاخلاص ولو فقهوا منعهم عداوته عن التدبر لكن لا وجه لعداوته فانه والله (لقد جاءكم رسول) بالمعجزات وعداوة الرسول عداوة للمرسل مع انه (من أنفسكم) أى أقاربكم فأنتم أعلم بأحواله من كونه بريئا عن الكذب والسحر وحق الاقارب المواصلة والتأمل فيما يقول كيف وهو لا يعاديكم بل (عزيز) أى ثقيل (عليه ماعنتم) أى لقاؤكم المكروه بل لا يرضى بقلة الخير فيكم لانه (حريص) بتكثير افاضة الخير (عليكم) ولا يختص ذلك منه بطائفة دون أخرى بل (بالمؤمنين) كلهم (رؤف) أى مبالغ فى الرحمة بل (رحيم) بكل احد بهدايته واصلاحه (فان تولوا) أى اعرضوا عن التدبر فى القرآن مع انه لا وجه للاعراض عنه من جهة عداوتك ولا من غيرها (فقل حسبى الله) كفانى فى دفع ضرر عداوتكم اذا كانت ظالما محضا وكيف لا يكفى وهو الذى لا يشارك فى غاية كماله اذ (لا اله الا هو) وهو ان لم يدفع الضرر عن كل أحد لا بد وان يدفعه عنى لانه (عليه توكلت) لا على شئ آخر كيف (و) جميع الاشياء تحت حفظه وقدرته اذ (هو رب العرش العظيم) المحيط بالكل فيحيط بكل من يعادينى وباسباب اضراره اياى واذا كان رب جميع ذلك فلا يؤثر بدون اذنه ولا يأذن بتأثير الضرر فيمن صح توكله عليه تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين الى يوم الدين

(سورة يونس)

سميت بها لتضمنها قوله فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس ففيه غاية ما يفيد فيه الايمان وضرر تركه وتأخيره وهو المقصد الاعلى من انزال الكتاب (بسم الله) المتجلى بذاته وأسمائه وأفعاله فى آيات كتابه الحكيم ليتضمن لوازم الرغبة فى تحصيل الاعتقادات الصائبة والاخلاق الفاضلة الداعية الى الاعمال الصالحة ولوازم الرهبة عن اضدادها أو ليتضمن اسرار لباب الرسالة ليزول الالتباس والانغلاق عن الاعتقادات والاعمال أو أنوار لوامع الربوبية أو أكمل لا ٢ لى الرشد (الرحمن) باظهارها لخلقه ليهديهم اليه لا على أيديهم ليلجئهم بل على أيدى من كمل قبل ظهورها له (الرحيم) بوعد قدم الصدق للمؤمنين (الر تلك آيات الكتاب الحكيم) أى آيات لوازم الرغبة والرهبة أو اسرار لباب

اذا جعله زاكيا (قوله عز وجل زهرة الحياة الدنيا) يعنى زينتها والزهرة بفتح الهاء والزاى نور النبات والزهرة بضم الزاى وفتح الهاء النجم وبضم الزاى وسكون الهاء (قوله عز وجل زجرة

الرسالة أو أنوار لوامع الربوبية أو أكمل لا لى الرشد تلك آيات الكتاب الجامع لاصناف الحكمة النظرية والعملية اذ يرغب فى تحصيل الاعتقادات الصائبة والاخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة ويرهب عن اضدادها وبلباب الرسالة تزول الالتباس منها والانغلاق عنها ولا يحصل الاباشراق أنوار الربوبية اذ بدونها يكثر الضلال فيها والرشد وان حصل بطريق الخطابة أو الجدل فلا يخلو عن قصور وانما يكمل بالحكمة ثم الترغيب والترهيب انما يتم بالوحى اذ لا يستقل العقل بالامور الاخروية واسرار لباب الرسالة انما هى بالوحى أيضا لقصور الالهام والمقدمات العقلية وأنوار الربوبية انما تشرق على العامة بواسطة الرسل اذ لا تناسب بين نور الانوار وبين المنغمس فى العلائق الظلمانية والرشد لا يتم الا بالوحى اذ يتأيد فيه العقل بالنقل فلا عجب فى الوحى (أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم) لمزيد مناسبة لربه (أن أنذر الناس) عن ردىء الاعتقادات والاخلاق والاعمال (وبشر الذين آمنوا) وان لم يتم لهم تحسين اخلاقهم وأعمالهم (أن لهم قدم صدق) أى مرتبة قرب من الله ثابتة (عند ربهم) يرجى بها تربيته باتمام تحسين الاخلاق والاعمال فلما تمت حجة الارسال بهذا الطريق (قال الكافرون) فى الطعن عليه (ان هذا لساحر مبين) اى تلبيس ظاهر اذ يبعد من الله انزال الملك من فوق السموات السبع الى الارض فى لحظة ولكنه ليس ببعيد من الله كما قال (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام) مع ان السير فى البناء الذى لا يتم الا فى سنين يكون بلحظة واحدة وبناؤهما لو كان من انسان لا يكاد يتم فى آلاف آلاف سنين ولا اضعاف اضعاف اضعافه (ثم) لتنزيل أمره فى العالم كله (استوى على العرش) لا لافتقاره الى ذلك بل لكونه (يدبر الامر) أى يرتب بعضه على بعض ومنه ترتيب النجاة على تحسين الاعتقادات والاخلاق والاعمال وترتيب الثواب والعقاب على تحسينها وتقبيحها ولا يتم الا بالارسال فانه (ما من شفيع الا من بعد اذنه) وهو انما يأذن فى حق من أقر بربوبيته وقام بعبوديته لكن بقى فيه تقصير وهما انما يحصلان فى حق العامة بالرسل اذ يقولون (ذلكم) البعيد عن ادراك الحواس والعقول هو (الله) وغاية ما يعرف منه انه (ربكم) أى الذى ربا كم لتعبدوه (فاعبدوه أ) تتذكرون شيأ مما ذكرمع ظهوره لكنه يفتقر الى التذكر وأنتم تريدون انكاره (فلا تذكرون) لكن لا بد من التذكر اذ (اليه مرجعكم جميعا) لا يختص به البعض حتى انه ربما لا يرجع اليه بعض من لا يتذكر وهو وان لم يجب عقلا وجب لكونه (وعد الله) لوجوب كونه (حقا) على انه وافق الحكمة (انه يبدؤا الخلق) ليتعرف اليهم ويستعملهم اعمالا ظاهرة وباطنة (ثم يعيده) لئلا يقع الابداء عبثا فلا بد وان يكون (ليجزى) كلا بمقتضى معرفته وعمله مثل ان يجزى (الذين آمنوا) فصححوا الاعتقادات (وعملوا الصالحات) فحسنوا الاخلاق والاعمال (بالقسط) فلا ينقص من أجورهم شيأ وان كان ينقص من جزاء السيآت بالعفو (والذين كفروا) اذا جازاهم بالقسط (لهم شراب من حيم) يحرق بواطنهم لفساد

واحدة) وهى نقطة الصور والزجرة الصيحة بشدة وانتهار (قوله عز وجل زوجناهم بحور عين) أى قرناهم بهن وليس فى الجنة تزويج كتزويج الدنيا وقوله عز وجل

الاعتقادات

الاعتقادات والاخلاق (وعذاب أليم) على ظواهرهم لفساد الاعمال فانها تفسد (بما كانوا يكفرون) ولو استبعد انزال الملك فلا يبعد الوحي بافاضة ضياء العقول أو أنوار النفوس السماوية اذ (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا) في الارض (و) لا يلزم منه دوام الوحي لاختلاف منازل الرسول كاختلاف منازل القمر اذ (قدره منازل) يمتلئ في بعضها نورا وينقص في البعض وكذا الرسول ومنازل القمر هي الشرطين والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرفة والجبهة والزبرة والصرفة والعواء والسماك والغفر والزبانى والاكليل والقلب والشولة والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية وفرغ الدلو المقدم وفرغ الدلو المؤخر وبطن الحوت وانما قدر ذلك (لتعلموا عدد السنين) بمعرفة الايام المقدرة بالمنازل والشهور المقدرة بالايام والسنين المقدرة بالشهور (والحساب) أي حساب سير الكواكب المتوقف على الحساب المطلق المفيد في جملة أمور الدنيا التي هي مزرعة الآخرة ففيها دلالة على سني الآخرة وحساب أعمالها والدليل على ذلك أنه (ما خلق الله ذلك الا بالحق) أي بالحكمة فهي لازمة لافعاله فلا بد من الجزاء ولا يعرف الا بالرسل أولى الآيات لذلك (يفصل الآيات) تفصيل البروج بالمنازل وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت وكما ان تفصيل البروج بالمنازل انما يفيد المنجمين فهذا التفصيل مفيد (لقوم يعلمون) بل انما يفيد المتقين وقد اقتضت تلك الآيات التقوى كما قال (ان في اختلاف الليل والنهار) في زيادة الظلمة والنور ونقصانهما (وما خلق الله في السموات والارض) من طلوع وأفول وكائن وفاسد (لآيات) أي دلالات على ان الانسان يستزيد النور تارة وينقص أخرى ويطلع فيه تجل وبافل أخرى ويتكون فيه اعتقاد وخلق وعمل ويفسد أخرى وهي انما هي تكون مفيدة (لقوم يتقون) نقص النور وأفول التجليات وفساد الاعتقادات والاخلاق والاعمال الفاضلة والتقوى هي الواقية من العذاب الابدي للذي لا يتقي (ان الذين لا يرجون لقاءنا) فلا يتوقعون الجزاء فلا يتقون (و) لو توقعوا الجزاء لم يبالوا به لانهم (رضوا بالحيوة الدنيا) فاحتملوا لها كل شئ (و) مع عملهم بفنائها (اطمأنوا بها) حتى لم يبالوا بها العذاب الابدي (و) انما يأتي لهم ذلك مع انهم لا يبالون في أجل الاشياء بما هو أدنى منه لانهم (الذين هم عن آياتنا) الدالة عليه (غافلون أولئك) البعداء عن طريق النجاة لا يمكنهم اتقاء النار بدعوى الغفلة عنها بل (مأواهم النار) لا يخلو منهم جانب للعذر (بما كانوا يكسبون) من هذه الغفلة من القبائح الفائتة للحصر وكما ان التقوى واقية من النار هادية الى المعارف الالهية والاعمال الصالحة (ان الذين آمنوا) لاتقائهم الشرك (وعملوا الصالحات) لاتقائهم المعاصي (يهديهم ربهم) الذي ربى ايمانهم بأعمالهم (بايمانهم) بعد تربيته الى معارفه وأسرار أعماله بحيث (تجري من تحتهم الانهار) أي أنهار المعارف والاسرار من أرواحهم الى قلوبهم ثم الى نفوسهم ثم الى سائر أعضائهم ثم الى من يناسبهم ثم الى

احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) أي وقرناءهم والزوج الصنف أيضا كقوله سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض أي الاصناف (قوله عز وجل ذكره) أي معلق بالقوم وليس منهم

العالم فيصيرون فى الدنيا كأنهم (فى جنات النعيم دعواهم) أى قولهم المشير الى دعواهم الكمال لانفسهم (فيها) عند مكاشفة بعض المعارف (سبحانك اللهم) عن أن تكون هذه المعرفة غاية كمالك الذى هو مقتضى الهيتك (و) ليس ذلك منهم انكارا لما كوشفوا به بل (تحيتهم) لما كوشفوا به (فيها سلام) أى تسليم آخر ثم طلب مزيد (وآخر دعواهم) بعد حصول المزيد (أن الحمد لله) ولا يبعد الاختلاف فى تجليه اذ هو جهة تربيته للكل فلا يبعد ذلك من (رب العالمين) ويحصل لهم مما يناسب هذه الحالة فى الجنة كلما رأوا شيأ يعجبهم قالوا سبحانك اللهم واذا رأى بعضهم شيأ سئل له من غير حقد عليه فيحصل له مثله فيحمد الله عليه (و) لا يقال لو تنعم المؤمنون باعتقاداتهم وأخلاقهم وأعمالهم فى الدنيا كأنهم الآن فى الجنة تعذب الكافرون باضدادها فى الدنيا كأنهم الآن فى النار لانا نقول (لو يعجل الله للناس الشر) وهو التعذيب على سوء الاعتقاد والخلق والعمل سيما المستعجلين به (استعجالهم بالخير لقضى اليهم أجلهم) اذ لا يعيش الحيوان مع تلك الآلام فى الدنيا فلو عذبناهم بها لكان ملجأ الى الايمان ولا فائدة له حينئذ (فنذر الذين لا يرجون لقاءنا) حتى استعجلوا عذابنا قبل وقته (فى طغيانهم) بدل فكرهم الهادى (يعمهون) يترددون فيه لا يجدون دليلا على عدمه البتة (و) لو جعلنا عذابهم دون ذلك لم يفدهم سيما اذا كان منقطعا فانه (اذا مس الانسان الضر دعانا) ملقيا (لجنبه أو قاعدا أو قائما) ومع هذه المبالغة فى الدعاء المستلزم للاخلاص لا يدوم اخلاصه بل غاية البقاء مادام الضر باقيا (فلما كشفنا) أى أزلنا (عنه ضره) الذى كان حجابا بينه وبين ما يشتهيه (الى الشر) فصار بعد تلك المبالغة فى الدعاء (كأن لم يدعنا) فى حال من الاحوال (الى) كشف (ضر) حقير أو عظيم (مسه) بل كأنه مس غيره وذلك لما زين له الشر لاسراف ميله اليه بعد رؤية فائدة الاخلاص من كشف ذلك الضر (كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون) فيعودون اليه بعد رؤية ضره مرة بعد أخرى والكافر لو أعيد الى الدنيا بعد التعذيب بالنار لعاد الى كفره ولما لم يفدهم العذاب المنقطع فأما أن يؤخر أمرهم الى الآخرة ليستوفوا العذاب هناك أو يعذبوا فى الدنيا عذابا يتصل بعذاب الآخرة (و) لا بعد فيه فانا والله (لقد أهلكنا القرون من قبلكم) فصار سنة لنا بطريق الابتلاء الذى يعم العادل والظالم بل (لما ظلموا) لم يؤاخذ بمجرد الظلم بل بعد أن (جاءتهم رسلهم بالبينات) فتقرر عليهم الحجة بالوجوه الكثيرة (وما كانوا ليؤمنوا) بتلك البينات ولا بغيرها وكيف لا نجازيهم مع افراط ظلمهم انا (كذلك نجزى القوم المجرمين) الذين لم يفرطوا مثل افراطهم (ثم) أى بعد اهلاكهم على افراطهم فى الظلم (جعلناكم خلائف) عنهم متمكنين (فى الارض) القابلة للاصلاح والفساد (من بعدهم لننظر كيف تعملون) من اصلاحها وافسادها بعد ما أرينا كم هلاك المفسدين وجعلناه سنة مستمرة (و) لكن رأينا من عملهم ارادتهم تبديل كتاب الله فانه (اذا تتلى عليهم آياتنا) المنسوبة الى عظمتنا الاعجازها الا اشكال فيها بل مع كونها (بينات) أى واضحة الدلالة على مقاصدها بالمقدمات القطعية (قال الذين لا يرجون لقاءنا)

وقيل الزنبيم الذى له زغبة من الشعر يعرف بها كما تعرف الشاة بزغبها ويقال تيس زنيم اذا كانت له زغبتان وهما الحلمتان المعلقتان فى حلقه (وقوله عز وجل زنيم بعد ذلك) معروف والعرب تأكل الزنجبيل وتستطيبه

لقاءنا) فلا يبالون لعظمتنا فضلا عن عظمة الآيات ولا لوضوح دلالتها (ائت بقرآن غير هذا) الدال على ما يكون عند اللقاء (أو بدله) فاجعل ثوابه عقابا وعقابه ثوابا (قل) ان كان لله تبديله لكمال قدرته (ما يكون لي) لاعجازه (أن أبدله) فان كان فلا يكون (من تلقاء نفسي) بل من الله بطريق النسخ وليس النسخ مني بل (ان اتبع الا ما يوحى الي) ولو أمكنني تبديله من غير وحي في نسخه منعني منه الخوف (اني أخاف ان عصيت ربي) أي معصية فضلا عن تبديل وحيه وكتابه (عذاب يوم عظيم) وان لم تعظم المعصية وهنا قد عظمت فان زعموا ان تبديلك مسقط للعذاب عنهم ومن أسقط عن شخص عذابا أسقط الله عنه (قل لو شاء الله) أن لا يعذبكم على معاصيكم (ما تلوته عليكم) الزاما للحجة عليكم (ولا أدراكم به) أي ولا أعلمكم الله بلساني بأنكم معذبون على معاصيه من غير ان اتلوه عليكم تقصيرا للحجة اذ ليس ذلك مقتضى طبيعتي (فقد لبثت فيكم) مدة مديدة تشبه أن تكون (عمرا) كاملا مقدارا أربعين سنة (من قبله) والانتهاء الى الكمال البالغ حد الاعجاز لو كان من عند نفسي لكان بطريق التدريج (أ) تقولون بلغته من غير تدريج (فلا تعقلون) ثم ان أعطاني الله هذا من غير تدريج وافتريت عليه (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) أدنى فضلا عن الكذب الذي كانه كل الكذب مع أن الكذب والظلم لا يتصور ممن يؤتى المعجزات في السنة الالهية ولا ينحصر الظلم في بكل حال بل اما أنا (أو) من (كذب بآياته) ولو لاحتجابه عنها بترك النظر فيها ثم ان طلبت بذلك الرياسة عليكم أو طلبتم بقاء عرض آبائكم لا انال مقصودي ولا تنالون مقاصدكم (انه لا يفلح المجرمون) بأدنى المعاصي فكيف بالافراط في الظلم (و) من افراط ظلمهم ارادتهم تبديل كتاب الله ليسوغ لهم عبادة غيره التي فيها تذليل أنفسهم بلا شيء اذ (يعبدون من دون الله) مع ان الدون ليس له رتبة المعبودية سيما (ما لا يضرهم) لو تركوا عبادته (ولا ينفعهم) لو عبدوه (و يقولون) اذا قيل لهم لا تنفعكم عبادتهم ولا يضركم تركها ولا ينفعكم تبديل كلام الله اذا عذبكم على عبادته (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) على كل شيء حتى في تعذيبه على عبادتها أو تبديل كلامه (قل) ما أعلمكم الله على لسان رسول أنهم شفعاؤكم عنده اذ لا تؤمنون بهم (أتنبئون) أي تخبرون (الله بما لا يعلم) من شفاعتها وما لا يعلم لا يوجد (في السموات ولا في الارض) على أن الشفيع لا يكون عدو المشفوع عنده والشريك عدو وهو اذا لم يتحقق شركاؤكم تصيرون أعداءه بإثبات شركه (سبحانه وتعالى عما يشركون) والشفيع لا يشفع في حق العدو الذي يثبت للملك ما ينزه عنه وكيف لا يتنزه عن الشريك وقد تعالى عن رتبة الشركاء (و) لو قالوا انما نريد تبديل هذا الكتاب لانه بدل دين آبائهم يقال لهم اذا بدل آباؤكم دين الله يجب تبديله وقد بدله آباؤكم اذ (ما كان الناس) في عهد آدم عليه السلام (الا أمة واحدة) اذ يبعد أن يكون له هذه الاديان المتناقضة (فاختلفوا) فلا بد أن يكون أحد المتخالفين مبدلا لذلك الدين الواحد واذا التبس من عليه بمن خالفه لا بد من التمييز بينهما واعلاه قضاء الفصل بمقتضى كل واحد منهما (ولولا كلمة سبقت من ربك)

وتستطيب رائحته (قوله عز وجل زراني مبنوثة) الزرابي الطنافس المخملة واحدتها زربية والزرابي البسط ومبثوثة مفرقة كثيرة في كل مجالسهم (قوله عز وجل زبانية) واحدهم زبني مأخوذ من الزبن

باسعاد البعض واشقاء البعض ولا يتأتى مع القضاء على الفور (لقضى بينهم) لانه الاولى (فيما فيه يختلفون) من شأن ذاته وصفاته وتوحيده وأحكامه وأفعاله فى الدارين فاقتصر على تمييز الكتاب بينهما (ويقولون) لو كان هذا الكتاب للتمييز النازل منزلة ذلك القضاء (لولا) أى هلا (أنزل عليه) أى على كمال تمييز (آية) قاهرة يعلم بالضرورة كونها (من ربه فقل) هذه الآية لا تكون فى عالم الشهادة لانها تكون ملجئة الى الايمان وانما تكون يوم القيامة وهو غيب لا يفتحه على من سواه الا وقت مجيئه (انما الغيب لله) لكن له وقت ظهور وهو الموت (فانتظروا) الموت الكاشف عنه فى الجملة (انى معكم من المنتظرين) ليكمل ظهور صدقى فيما نصحت لكم فلم تقبلوه وجزاؤكم على تكذيبى ورد نصيحتى (و) انما شرط الموت أو القيامة للآية الملجئة اذ لا يلجئهم سوى العذاب والعذاب الدنيوى منقطع غالبا والمنقطع لا يفى الجاؤه فى حقهم لما جرب عليهم انه (اذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم) فضلا عما مست أقاربهم على التكذيب (اذا) أى فاجأ (لهم مكر) أى احتيال (فى آياتنا) أى فى دفع كون تلك الضراء على التكذيب (قل الله أسرع مكرا) اذ دبر عقابكم قبل أن تدبروا كيدكم ولا تسبقونه بالامكار (ان رسلنا) يشهدون مكركم ولا يمكنكم التلبيس عليهم لانهم (يكتبون ما تمكرون) ومن مكره الرحمة مع المعاصى وكذا مع الاخلاص اذا زال عقيبه اذ (هو الذى يسيركم) مع معاصيكم (فى) مواضع الخطر من (البر والبحر) ويبالغ فى اظهار الرحمة عليكم (حتى اذا كنتم فى الفلك) أى السفن لطلب الارباح (و) من مكره فى رحمته بهم انها (جرين بهم) أى بأصحابها التفت من الخطاب الى الغيبة لتشير الى المكر بانه أراهم أولا انهم من أهل القرب والخطاب ثم جعلهم من أهل البعد والغيبة آخرا (بريح طيبة) أى موافقة لينة فأراها اياهم رحمة فى الظاهر (و) الباطن اذ (فرحوا بها) كأنهم وصلوا الى المقصد وأمنوا الآفات ثم يظهر مكره فيها اذ (جاءتها ريح عاصف) أى ذات شدة فصار الدقل بحيث يكاد يغرق السفينة (و) ليسرع بها سير السفينة اذ (جاءهم الموج من كل مكان) أى من كل جانب فمنع حركة السفينة مع شدة الريح (وظنوا) من شدة الموج والريح (أنهم أحيط بهم) أى أحاط بهم أسباب الهلاك (دعوا الله) للتخلص عنها (مخلصين له الدين) أى دينهم عن الشرك قائلين والله (لئن أنجيتنا من هذه) الآفات (لنكونن من الشاكرين) أى العابدين لك شكرا فيستجيب دعاءهم مكرا بهم وايهاما لهم انهم من أهل القرب (فلما أنجاهم اذا هم يبغون) أى فاجأهم الاستمرار على تجديد طلب الفساد (فى الارض) باظهار الشرك فيها (بغير الحق يا أيها الناس) أى يا من نسى نعمة الخلاص بالاخلاص واستجابة الدعاء (انما بغيكم على أنفسكم) لا على الله باثبات الشرك له ولا على نعمة الله اذ غايتها انها (متاع الحيوة الدنيا) الذى لا يبالى الله فيه بمن يعطيه من موحد ومشرك فغايتكم انكم تنتفعون بها مدة حياتكم (ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون) فيها فنقلبها نقمة عليكم ونريكم ان الانعام بها كان مكرا معكم ثم أشار الى أن المكر انما يرى رحمة بطريق التزيين مع خسته فى نفسه وبايهام

وهو الدفع كأنهم يدفعون أهل النار اليها

(باب الزاى المضمومة)

(قوله عز وجل زلزلوا) أى خوفوا وحركوا (قوله عز وجل زحزح عن النار) أى نحى عنها وبعد (قوله عز وجل زخرف

البقاء مع فجأة الفناء كتزيين الدنيا وايهام بقائها لمن آثرها على الآخرة مكرا به فقال (انما مثل الحيوة الدنيا) أى صفتها العجيبة التى يمكر بها أهلها فيؤثرونها على الآخرة ثم يسلب عنهم مع الآخرة (كماء أنزلناه من السماء) اذ يرونها وأموالها وجاهها فائضة من الله (فاختلط به نبات الارض) كما يختلط بحبها القلب الخسيس خسة النبات من حيث كونها (مما يأكل الناس والانعام) لكن يغتر القلب بزينة مالها وجاهها اغترار الارض (حتى اذا أخذت الارض زخرفها) أى زينتها من نباتها (وازينت) بأنوارها وثمارها (و) اغتر أهلها بيقائها اذ (ظن أهلها أنهم قادرون عليها) أى تستمر قدرتهم على تحصيل حبوبها وثمارها (أتاها أمرنا) بالاهلاك (ليلا) مبالغة فى المكر (أو نهارا فجعلناها حصيدا) أى كالمحصود بل (كأن لم تغن) أى لم تنبت (بالامس) أى قبيل ذلك الوقت فالممثل الحياة اذا تزينت بالمال والجاه ثم هلكت وفاتها المال والجاه مع ذهاب الآخرة فكما فصلنا هذه الآية بهذا المثال (كذلك نفصل الآيات) بالامثلة تقريبا (لقوم يتفكرون) فان الامور الحسية أقرب الى الفهم من العقلية اذ يعارض فيها الوهم والخيال (و) لا يقبح مكر الله قبح مكر غيره لانه مع البيان اذ (الله) مع هذا المكر (يدعوا الى دار السلام) ببيان طريقه ليسلم من مكره فى تزيين الدنيا والشهوات (و) لا ينافى بيانه مكره لانه انما يرتفع بالهداية لما بين ولا تم بل (يهدى من يشاء) بمتابعة بيانه ليوصلهم (الى صراط مستقيم) بجعلهم فى دار السلام والمكر لا يضر فى حقهم بل ينفعهم أكثر مما لو اهتدوا بدونه اذ (للذين أحسنوا) النظر فعرفوا مكر الدنيا والشهوات فأعرضوا عنها وتوجهوا الى الله فعبدوه كأنهم يرونه المثوبة (الحسنى) فوق المثوبة التى تحصل بالهداية بلا مكر على عبادة الله (وزيادة) هى رؤية الله بالبصر كما رأيناها على رؤيتهم اياه فى العبادة بالقلب (و) صفاء قلوبهم بيض وجوههم قبل دخول الجنة فى أهوال القيامة بحيث (لا يرهق) اى لا يغشى (وجوههم قتر) أى غبرة سوداء من أثر حب الدنيا والشهوات (ولا ذلة) من آثار الالتفات الى ما دون الله فيصيرون فى أهوال القيامة بحيث يشار اليهم بأن (أولئك أصحاب الجنة) بل كأنهم من ذلك الوقت (هم فيها خالدون) فلم يضرهم المكر بل أفادهم هذه الفائدة فلما لغتهم فى الاحتراز عنه (والذين كسبوا السيآت) اغترارا بالمكر فلا يقبح المكر فى حقهم أيضا اذ غاية ضرره لهم انه يكون (جزاء سيئة بمثلها) فيعذبون بقدر ما تلذذوا بمعاصيهم (و) يكفيهم ما آثروه من المال والجاه فى دفع الجزاء من العذاب انهم (ترهقهم ذلة) لميلهم الى الدنيا والشهوات الخسيسة ولا ينفعهم ما آثروه من المال والجاه فى دفع الجزاء اذ (مالهم من الله من عاصم) بل يزيدهم عذابا اذ تصير حجبا مظلمة على القلوب فتسرى ظلمتها الى الوجوه (كأنما أغشيت) أى ألبست (وجوههم قطعا) أى أجزاء (من الليل) حال كونه (مظلما) لاهقا مرافيصيرون بحيث يشار اليهم بأن (أولئك أصحاب النار) بل كأنهم من ذلك الوقت (هم فيها خالدون) فيبدل تنعمهم بالعذاب وتزينهم بالذلة وخضرتهم بالسواد (و) من مكر الله بهم ايهامهم شفاعة الاصنام فى عبادتها ثم انكارها عبادتهم يوم يتوقعون

القول) يعنى الباطل المزين الحسن وقوله عز وجل اذا أخذت الارض زخرفها أى زينتها بالنبات والزخرف الذهب ثم جعلوا كل شئ مزين من زخرفا ومنه قوله جل اسمه لبيوتهم سقفا من فضة الى قوله عز

منها الشفاعة فاذكر (يوم نحشرهم) أى العابدين والمعبودين (جميعا) للمقاولة بينهم (ثم نقول للذين أشركوا) معبوديهم بالله مع توقعهم الشفاعة منهم والشريك عدو ولا يتصور الشفاعة من العدو سيما فى حق من وقعت العداوة بسببه الزموا (مكانكم أنتم وشركاؤكم) لينأى فيه التخاطب ولا يتأتى مع المواصلة (فزيلنا) أى قطعنا المواصلة التى (بينهم) فلا يبقى من العابدين توقع شفاعة ولا من المعبودين افادتها لو أمكنتهم (وقال شركاؤهم) انما يكون منا الشفاعة لو كانت منكم العبادة لنا لكن (ما كنتم إيانا تعبدون) اذ لم تكن عبادتكم عن أمرنا بل عن أمر الشياطين فكنتم عابديها بالحقيقة ولو كانت عن أمرنا لكنا عالمين بها ولكن (فكفى بالله شهيدا) بل حاكما قاطعا للنزاع (بيننا وبينكم ان) أى انا (كنا عن عبادتكم لغافلين هنالك) أى حين قطع المواصلة وانكار الشركاء العبادة (تبلوا) أى تحقق عن اختبار (كل نفس) أثر (ما أسلفت) من الاعمال بالعذاب العقلى قبل دخول النار كيف (و) قد (ردوا الى الله) فكشف لهم عن هيئات الاعمال وآثارها الحقيقية بلا لبس عليهم كما كان فى الدنيا لكونه من (مولاهم الحق) أى الكاشف للامور على ما هى عليه (و) لم يفدهم اعتقادهم فى الشركاء تغيير شئ من ذلك اذ (ضل عنهم ما كانوا يفترون) فلم يبق من ذلك أثر فى بواطنهم يزيل عنهم العذاب العقلى ولا فى ظواهرهم يزيل عنهم العذاب الحسى فان زعموا انهم لا يتوقعون شفاعتها فى ذلك اليوم لرفع عذابه أو تكثير ثوابه اذ لا يؤمنون به بل اليوم لتكثير الرزق أو تكميل القوى البدنية أو تطويل الحياة الدنيوية أو تحصيل الولد أو تدبير الامور على نهج التيسير (قل من يرزقكم) مع ان الرزق (من السماء والارض) بالامطار والانبات فلا يمكن الا ممن له التصرف العام فيهما (أمن يملك السمع والابصار) اللذين أصل خلقهما سماع آيات الله المتلوة وابصار آياته المبصرة (ومن يخرج الحى من الميت) وأصله الدلالة على احياء الآخرة (ويخرج الميت من الحى) وأصله التخويف من قهره (ومن يدبر الامر) من السماء الى الارض وأصله الدلالة على ترتيب الثواب والعقاب على الاعمال وليس للشركاء غالبا فى الظاهر سمع ولا أبصار ولا احياء ولا تدبير فى حق أنفسها (فسيقولون) اذا تأملوا تأملا كاملا (الله فقل أ) تجعلونه مشاركا لما لا دخل له فى شئ من ذلك (فلا تتقون) أن يسلبكم الرزق والسمع والابصار والحياة ويقلب عليكم التدبير فان زعموا أنها مظاهره (فذلكم الله) يبعد ظهوره باعتبار وجوب وجوده الذى به ربوبيته فى المظاهر الممكنة وانما يظهر فيها باعتبار وجوده أو سائر أسمائه (ربكم الحق) أى الثابت ربوبيته فى ذاته لم ينتقل الى المظاهر فان زعمتم ان للمظاهر دخلا فى الربوبية (فماذا بعد الحق) أى بعد ربوبية الرب الحق الذى لا انتقال لربوبيته أصلا (الا الضلال) ممن له الربوبية الى من لا ربوبية له (فأنى) أى فكيف (تصرفون) الى الغير على أن له دخلا فى الربوبية وليس هذا مجرد نسبتهم الا الضلال بل كما حق عليهم الضلال لخروجهم عن مقتضى هذا البيان (كذلك حقت كلمت ربك) لاملأن جهنم (على الذين فسقوا) أى خرجوا عن ربوبيته الى ربوبية مظاهره لتحقق (أنهم لا يؤمنون) بالله بل

يفسقون

وجل وزخرفا أى نجعل لهم ذهبا ومنه أو يكون لك بيت من زخرف أى من ذهب (قوله جل وعز زائفا من الليل) أى ساعة بعد ساعة واحدتها زائفة (قوله عز وجل زبرا) أى كتبا جمع زبور (قوله عز وجل

يقفون على مظاهره على انها قاصرة فاعتقاد كمالها اعتقاد نقص فى ربوبيته وهو مانع من الايمان به (قل) ان كان للشركاء دخل فى تكثير الرزق وتقوية القوى وتطويل الحياة وتحصيل الولد وتدبير الامور على وجه التيسير فلا يعبأ بشئ من ذلك مع توقع الضرر الاخروى فى عباداتها الا أن يكون لها قدرة على دفعه لكن انما يقدر عليه من يقدر على مقاومة الاله القادر على الابداء والاعادة (هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده) فان زعموا ان الاعادة ممتنعة فى حق الله فكيف يتصور فى حق الشركاء (قل) لاوجه لمنعهما فى حق الله بل (الله) لعموم قدرته وصدق وعده (يبدؤا الخلق) ليتعرف اليهم ويستعملهم اعمالا (ثم يعيده) ليجزيهم بمقتضى معارفهم وجزائهم (فأنى تؤفكون) أى فكيف تصرفون الى عبادة الغير مع عجزه عما أرادوا وعن كل ماذكرنا أولا فان زعموا بأنا انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى (قل) لو كانوا مقربين الى الله لكانوا هادين اليه (هل من شركائكم من يهدى الى الحق) مع انه قد جرب من عابديه الحجاب عن الامور الاخروية والرسالة فان زعموا ان الله كذلك (قل الله يهدى) على السنة الرسل بالبيان (للحق) بحيث يكشف الحجب عن تلك الامور فيعبدوا الله بمقتضاها ويتقرب اليه (أ) تتبعون من لا يهدى بل لا يهتدى (فما) لهل (من يهدى الى الحق أحق أن يتبع أمن لا) يهدى بل لا (يهتدى) أى لا يهتدى (الا أن يهدى) أى يهديه الغير فان لا يستحق الاتباع كيف يستحق الشرك (فما لكم كيف تحكمون) برتبة لمن لا يستحق مادونها ولكن هذا الاتباع لمن يتبع الدلائل القطعية (و) لكن (ما يتبع أكثرهم) فى شركها (الا ظنا) حصل لهم من رؤية آثار ظنوا انها منسوبة الى شركائهم مع انها لله ولو كانت لها فلا استقلال لها ويجب استقلال الاله وبما ظنوا استقلالها (ان الظن) وان قوى (لا يغنى) أى لا يفيد بدلا (من) الدليل (الحق) القطعى (شيأ ان الله عليم بما يفعلون) من ترجيح الظن الضعيف على الادلة القوية القاطعة التى جاءتهم بها الرسل فعادوهم واتبعوا أهواءهم من متابعة آبائهم وغيرها (و) ليس اتباع القرآن من اتباع الظن لانه (ما كان هذا القرآن) المشار اليه بالاشارة القريبة فى باب الاعجاز لظهوره فيه محققا (أن يفترى) لامتناع صدوره (من دون الله) اذ ليس لمن دونه كمال قدرته التى بها عموم الاعجاز (ولكن) يتعين كونه من الله لكونه (تصديق الذى) أنزله الله (بين يديه) مع انه لم يمارسه ولم يجالس أهله (و) لو فرضت ممارسته ومجالسته لم يأت (تفصيل) مجمل (الكتاب) الذى عسر تفصيله على أهله ولو فرض وقوعه لم يكن خاليا عن الريب لكنه (لا ريب فيه) مع كونه جامعا لكل ما يحتاج اليه فعلم انه (من رب العالمين) ربى به الكل فى أمر دينه ودنياه أيترددون فى كونه منه (أم يقولون) جزما (افتراه قل) ان صح فيه التردد أو الافتراء (فأتوا بسورة مثله) فى كمال حسن النظم والمعنى وتضمنها العلوم الكثيرة فى الالفاظ اليسيرة مع اشتمالها على أنواع الحجج ورفع الشبه (وادعوا) لمعاونتكم (من استطعتم) من الانس والجن بل كل من كان (من دون الله) مما فى العالم (ان كنتم صادقين) فى زعمكم أنه مفترى أو محتمل فاذا عجزوا بعد ذلك علم أنهم كذبوا (بل

زبر الحديد) أى قطع الحديد واحدتها زبرة
(قوله تعالى زلفى) أى قربى الواحدة زلفة وقربة
(قوله تعالى زمر) أى جماعات فى تفرقة واحدها زمرة

(باب الزاى المكسورة)

كذبوا بما) لا يسوغ لهم تكذيبه لانه انما يسوغ بعد الاحاطة بحال المكذب وهؤلاء (لم يحيطوا بعلمه) الذى لا يتناهى وكيف يحيطون بعلمه (ولما يأتهم تأويله) الذى به ارتباط نظمه وترتيب آياته ولا يستغرب منهم هذا التكذيب لكونه عادة مستمرة لامثالهم اذ (كذلك كذب الذين من قبلهم) وليس اتباعهم خيرا لهم لانه لا يقاع فى ظلمهم الذى عوقبوا به فان لم ينظروا اليه (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين و) ليس عدم اعجاز القرآن ظاهرا حتى لا يكون مكذبه ظالما والا لم يختلف العقلاء فيه لكنهم اختلفوا اذ (منهم من يؤمن به) فيعترف باعجازه (ومنهم من لا يؤمن به) فينكر اعجازه والكل يزعم ظهوره وما هو عليه فلا بد أن يكون أحد الفريقين مفسدا بالعناد (و) هو وان لم يظهر لبعض الناس من تلبيسه عليهم فليس بمانع من عقوبته عقوبة الظلم اذ (ربك أعلم بالمفسدين وان كذبوك) بعد ظهور افسادهم بالعناد (فقل لى عملى) الذى هو الاصلاح الكلى للقوة العلمية والعملية (ولكم عملكم) الذى هو الافساد الكلى لهما وليس ذلك بطريق الجزئية بل (أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون) فليس فى عملكم شئ من الاصلاح ولا فى عملى شئ من الافساد (ومنهم من يستمعون) أى يقصد سماعه متوجها (اليك) ليعلم منه ومن حالك انه اصلاح كلى أم لا (أ) يمكنك اسماعه على ما هو عليه (فأنت تسمع الصم) الذى لا يسمع الشئ على ما هو عليه (ولو كانوا لا يعقلون) الاشياء على ما هى عليها فهم يعتقدون الاصلاح فيما ألفوه من آبائهم دون ما يخالفه (ومنهم من ينظر اليك) ليعلم من حالك صحة دعواك الاصلاح الكلى (أ) يمكنك ابصاره على ما هو عليه (فأنت تهدى العمى) الذى لا يبصر الاصلاح الا فى عمل آبائه (ولو كانوا لا يبصرون) حقائق الاشياء (ان الله لا يظلم الناس شيأ) فلا يسمع ولا يبصر الصالح غير صالح وغير الصالح صالحا (ولكن الناس أنفسهم يظلمون) باعتقاد الصلاح فيما سمعوه من آبائهم أو رأوه من أفعالهم لا فيما سمعوه من الله أو رسوله أو رأوه منهما فيريهم كذلك (و) لا يختص عدم اطلاعهم على الحقائق باليوم بل يستمر الى يوم الحشر فانه (يوم يحشرهم) بعد مدة مديدة فى القبر يعتقدون قصرها (كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار) لكنهم اليوم لا يتعارفون بجهلهم يومئذ (يتعارفون بينهم) بجهلهم مع مجىء الرسل بالمعرفة الكاملة فيقولون (قد خسر) الثواب الابدى والسعادة الابدية من قرب الله (الذين كذبوا بلقاء الله) فرأوا اعتقاده الذى هو أصل كل صلاح كل فساد (وما كانوا مهتدين) للنجاة اذ لم يبالوا بفساد الاعتقادات والاعمال بل رأوا ذلك صلاحا (و) لما لم يعرفوا الصلاح والفساد من ذوات الاشياء بل من آثارها لم يكن بد من اظهارها فمنها ما ينبغى أن يظهر فى الدنيا ومنها ما ينبغى أن يظهر فى الآخرة والاول يختص بالبعض والثانى يعم الكل (امانرينك) أى ان نحقق اراءتنا اياك (بعض الذى نعدهم) على رؤيتهم الصلاح فسادا والفساد صلاحا (أو نتوفينك) أى أو نحقق توفيتنا اياك قبل الارادة (فالينا) فى الوجهين (مرجعهم) لاراءتنا ايم الكل (ثم) لا يمكنهم انكار شئ من ذلك اذ (الله شهيد على ما يفعلون و) لا اعتذار اذ (لكل

(قوله عز وجل زينة) ما يتزين به الانسان من لبس وحلى وغير ذلك ومنه قوله عز وجل خذوا زينتكم عند كل مسجد أى لباسكم عند كل صلاة وذلك ان أهل الجاهلية كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال بالنهار

أمة رسول) أزال اعذارهم فان زعموا أنهم كانوا غافلين ولا تكليف للغافل أزيل هذا العذر باحضار من أرسل اليهم (فاذا جاء رسولهم) فشهد بكيفية ازالة اعذارهم (قضى) قضاء رافعا للنزاع (بينهم) وبين ربهم بحيث يعترفون كونه (بالقسط وهم) لو لم يعترفوا بذلك يظهر بذلك انهم (لا يظلمون و) غاية طعنهم على الرجوع الى الله تعالى انهم (يقولون متى هذا الوعد) بينوا وقته (ان كنتم صادقين) فى أنكم تعلمون وقوعه فان من علم وقوع شئ علم وقت وقوعه (قل) هذا منقوض بان كل واحد يعلم انه يحصل له نفع وضر ولا يعلم وقتهما والا لامكنه جذب كل نافع ودفع كل ضار ولكنى مع غاية كمالى (لا أملك لنفسى) فضلا عن الغير (ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله) ولو قالوا ذلك فيماله وقت معين والنفع والضر مما لا وقت له معين قيل لهم (لكل) واحد من آحاد كل (أمة أجل) معين يعرفه ولا يعرف وقته والا لملكه فامكنه تقديمه وتأخيره ولكن لا يمكن (اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة) أى لا يمكنهم طلب تأخيره ساعة اذا علموا فيه ضررا يدفعوه (ولا يستقدمون) اذا علموا ان فى تقديمه نفعا يجذبوه (قل) ان كان سؤالكم عن وقت استعجاله فليس بمرغوب فى أى وقت كان (أرأيتم ان أتاكم عذابه بياتا) أى ليلا (أو نهارا) فلا شئ منه بمرغوب البتة (ماذا يستعجل منه المجرمون) فيسألونه سؤال رغبة وان كان للايمان به بعد وقوعه فلا ينفع (أ) تصرون على الكفر الى وقت وقوعه (ثم اذا ما وقع) أى بعد حين وقوعه (آمنتم به) فيقال لكم (آلآن) آمنتم به حين اضطررتم اليه (وقد كنتم) به الغين فى تكذيبه اذ كنتم (به تستعجلون ثم) لا يقتصر على لومكم وعقابكم بل (قيل للذين ظلموا) بالمبالغة فى تكذيبه الى حد الاستعجال بعد مبالغة الله فى اقامة دلائل وقوعه (ذوقوا عذاب الخلد) لانكم انما استعجلتم به لاعتقادكم انه لا يقع أبدا فلا ينقطع عنكم أبد الذل يقال (هل تجزون الا بما كنتم تكسبون) من جهل المركب بنفى امر مؤبد على التأبيد (ويستنبئونك) أى ويستخبرونك (أحق هو) أى الوعد بعذاب الخلد مع انه على جرم متناه أم مجرد تخويف (قل اى) اى نعم (وربى) الذى هو عدو من عادانى ولا نهاية لمقدار جرم العداوة معه (انه لحق) لكونه على جرم غير متناهى القدر وان تناهى وقته (وما أنتم بمعجزين) بهذه الشبهة له اذ لا يتقدر الجرم بمقدار الوقت (و) هذا الجرم من العظمة بحيث (لو ان لكل نفس ظلمت ما فى الارض لافتدت به) لو قبل منها الفداء (و) لم يضروه بهذه العداوة بل اضروا انفسهم لذلك (اسروا الندامة لما رأوا العذاب و) هو وان عظمت عداوته (قضى بينهم بالقسط وهم) وان لم يزالوا يزادون شدة (لا يظلمون) لان هذا الجرم لا يزال يزداد عظمته بازدياد ظهور عظمة الله ولم تكن عظمته مما يخفى اصلا (الا ان لله ما فى السموات والارض) ويكفى فى عظمة الجرم تكذيبهم الله فى وعده (الا ان وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون) لاستبعادهم البعث والجزاء ولا يبعدان منه اذ (هو يحيى ويميت و) ليست اماتته اعداما ولا عبثا بل (اليه ترجعون) فان زعموا ان التعذيب مضرة محضة

والنساء بالليل الا الخمس وهم قريش ومن دان بدينهم فانهم كانوا يطوفون فى ثيابهم وكانت المرأة تخذ نسائج من سيور وتعلقها على حقويها وفى ذلك تقول العامرية

اليوم يبدو بعضه أو كله

لانفع فيها للمعذب ولا للمعذب فكيف يقع قيل لهم (يا أيها الناس) أى الذين نسوا حكمة الله فى التخويف بالعذاب (قد جاءتكم موعظة) أى تخويف داع الى تحسين الافعال فلا بد من صدورها (من ربكم) ليربى افعالكم (و) هو كما يصلح الافعال يصلح الاخلاق اذ هو (شفاء لما فى الصدور) من الاخلاق الرديئة (و) التعذيب وان لم ينفع المعذب ولا المعذب ينفع من كان له (هدى و) هو انما يحصل باعتقاد وقوعه اعتقادا جازما مطابقا للواقع فهو (رحمة للمؤمنين) فان زعموا ان التخويف مضر تذهب بمنافع الشهوات (قل بفضل الله) فى اصلاح الافعال والاخلاق (و برحمته) فى اعطاء الاجر والتقريب عليها (فبذلك فليفرحوا) بدل الفرح بالشهوات بل ينبغى ان يكون بذلك أكثر اذ (هو خير مما يجمعون) من اسباب الشهوات اذ لا ينتفع بجميعها ولا يدوم ويفوت به اللذات الباقية بحيث يحال بينهم وبين ما يشتهون على انه لا يمنع جميع الشهوات بل ما قبح منها دون ما حسن وان حرمتم بعض ما حسن (قل أرأيتم) أى اخبرونى كيف قسمتم (ما انزل الله) من مقام فضله ورحمته (لكم من رزق فجعلتم) من عند أنفسكم (منه حراما وحلالا) لتكفروا ببعض ما انعم به عليكم بل بالتحليل والتحريم من عند أنفسكم (قل آلله اذن لكم) مع ان اذنه لا يعرف الا بالسماع منه ولا يسمع منه الا نبى او ملك وانتم تنكرون النبوة ونزول الملك عليهم (أم على الله تفترون و) هذا الافتراء موجب للتخويف (ما ظن الذين يفترون على الله الكذب) ماذا يفعل بهم (يوم القيامة) لكم يفترون بفضله فيجترؤن به على ابطال فضله الذى انزل منه الرزق (ان الله لذو فضل على الناس) فى انزال أنواع الرزق (ولكن أكثرهم لا يشكرون) فيحرمون بعضه ابطالا لفضله فكانهم قالوا أنت تحرم من عندنفسك وتتلو على الله ما تفترى عليه وتعمل اعمالا تفترى على الله انه امرها فقال تعالى فى الرد عليهم (وما تكون فى شأن) من التحليل والتحريم (وما تتلوا منه من قرآن) بجميع العلوم الاعتقادية والعملية (ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا) بعين العناية تفيض بها عليكم علوما ومعجزات وكرامات (اذ تفيضون فيه) فى معرفته والاعمال المقربة اليه وانى يكون ذلك فى حق المفترى الا من الجهل بافترائه والمكر بالمفترى أو أتباعه (و) لكن لا جهل فى حق الله لانه (ما يعزب) أى ما يغيب (عن ربك من مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء) بل (ولا اصغر من ذلك ولا أكبر) ولو فرض له نسيان لانه ما من شئ مما ذكر (الا) هو مسطور (فى كتاب مبين) لا يلتبس ما فيه على من طالعه وهو اللوح المحفوظ وليس هذا من المكر بك ولا بأصحابك اذ حصلت لك الولاية الخاصة ولهم الولاية العامة ولا مكر فى اعطائهم المعجزات والكرامات (الا ان أولياء الله لا خوف عليهم) من جهة المكر ولا من جهة أخرى فى الحال (ولا هم يحزنون) فى الاستقبال وليست الولاية مختصة بأهل الرهبانية بل تعم (الذين آمنوا وكانوا يتقون) القبائح من الافعال والاخلاق وكيف تكون الكرامات والمعجزات فى حقهم مكرا مع أن (لهم البشرى) بها (فى الحيوة الدنيا) بالقرب

ومابدا منه فلا احله
(وقال أبو عمر يقال ان آدم
عليه السلام طاف عريانا
لانه مشبه بيوم القيامة فجاء
محمد صلى الله عليه وسلم ففسخ
ذلك)

(باب السين المفتوحة)

من الله (و) البشرى فى الدنيا بشرى (فى الآخرة) لانه (لاتبديل لكلمات الله) وقد علموا ان بشارتهم من الله ولا يعدان يكون لهم من الله البشرى اذ (ذلك) أى حصول الولاية (هو الفوز العظيم) من قربه (ولا يحزنك قولهم) لو كان لهم قرب من الله لكانوا اعز الخلائق لكاثر اكم اذلة فانهم مردود عليهم بانهم انما جعلوهم اذلة لفقدهم الاموال والاعوان والقرب من الله لا يوجب العزة بالاموال والاعوان بل بالله وهو العزة الحقيقية (ان العزة لله جميعا) لا للاموال والاعوان بالذات (هو السميع) لاقوالهم ان لا عزة لاهل الله بل لاهل الاموال والاعوان (العليم) بما يلزمهم من نفى العزة عن الله اذ لو كانت له لكانت لاهله أكثر مما لاهل الاموال والاعوان وكيف ينفون العزة عن الله مع ان كل عزيز عبد ذليل له (الا ان لله من فى السموات ومن فى الارض) حتى شركاؤهم وقد جعلوهم مشاركى الحق فى عزته فتذللوا لهم مثل التذلل له (وما يتبع) دليلا على مشاركتهم الله فى عزته (الذين يدعون من دون الله شركاء) مع ان الدون لا يكون له عزة الا على أصلا (ان يتبعون الا الظن) مع ان الواجب فى باب الاعتقاد اتباع الدليل القطعى (و) ليس لهم دليل قطعى ولا أمارة راجحة بل (ان هم الا يخرصون) أى ماهم الا كاذبون ولا يعد من الله الجمع بين العزة والذلة لاهله كما جمع فى مصالح العامة بين الليل والنهار اذ (هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) فجعل لاهل الذلة ليتذللوا له ولا يستكبروا عن عبادته ويسكنوا اليه لا الى الاموال والاولاد والعزة بالهداية المبصرة (ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) فهنا ماذكرنا ومنها ان العزة بالاموال والاعوان ليلة مظلمة لمن سكن اليهما عن أسرار الربوبية وعزة الهداية نهار مبصر لها ومنها ان العزة بالاموال والاعوان مسكنة فى اللذات العاجلة مانعة من أبصار آفاتها والعزة بالهداية مبصرة للآفات فيها ومن كون عزتهم ظلمانية طعنهم فى عزة الله بحيث لا يشعرون به اذ (قالوا اتخذ الله ولدا) فجعلوه مجانسا له ومحتاجا اليه فقال تعالى (سبحانه) من ان يجانس أحدا أو يحتاج اليه اذ (هو الغنى) والغنى المطلق لا يجانس من يحتاج الى الولد ولو فرض فلا يكون من جملة العالم اذ (له ما فى السموات وما فى الارض) ملكا فهذا دليلنا على نفى الولد فما لكم به لكونه من عزة الهداية التى هى نهار مبصر (ان عندكم من سلطان بهذا) فليس لكم من هذه العزة التى هى العزة الحقيقية شئ على انكم تطعنون به فى عزة الله (أتقولون على الله ما لا تعلمون) اذ ما لا دليل عليه مجهول بل تفترون عليه ما هو محال (قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) فلا يبقى لهم عزة ولا عبرة بعزة الاموال والاعوان فى حقهم اذ غايتها انها (متاع فى) الحياة (الدنيا ثم) لا تكون آخرتهم على مثال دنياهم حتى يبقى لهم ذلك المتاع اذ (الينا) بعد افترائهم علينا بما يطعن فى عزتنا (مرجعهم) فنذلهم بمقتضى افترائهم وطعنهم فى عزتنا (ثم) لا نقتصر على ذلك الاذلال بل (نذيقهم العذاب الشديد) الذى يزدادون به ذلة (بما كانوا يكفرون) بالطعن فى عزتنا وان لم يشعروا به (واتل عليهم) أى على المغترين بعزة الاموال والاعوان المعتقدين ذلة من اتصف بقلتها وان

(السلوى) وهو طائر يشبه السمانى لا واحد له والقراء يقولون سمانا ه (قوله تعالى سواء السبيل) أى وسط الطريق وقصد الطريق (سفه نفسه) قال يونس سفه نفسه بمعنى سفه نفسه قال ابو عبيدة سفه نفسه أى أوبقها وأهلكها قال

كانت فيه عزة الهداية (بأنوح) الذى كانت له هذه الذلة فى ابتدائه مع انتهائه فى عزة الهداية (اذ قال لقومه) المغترين بعزة الاموال والاعوان (ياقوم) الذين حقهم الاعتزاز بعزة الهداية وترك الاغترار بعزة الاموال والاعوان (ان كان كبر) أى شق (عليكم مقامى) أى قيامى بالدعوة الى الله من رؤيتكم ذلتى بقلة الاموال والاعوان ومنع عزتكم بها عن الانقياد لى (وتذكيرى بآيات) التى بها عزتى وأنتم تتكبرون على بعزة الاموال والاعوان فتزدرون اهلاكى ولا تبالون بعزة الآيات المنسوبة الى الله (فعلى الله توكلت) أى اعتمدت فى دفع ماقصدتمونى به (فأجمعوا) اعزموا واقصدوا (أمركم) أى شأنكم فى اهلاكى (و) اجعلوا معكم (شركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة) أى غما وشدة على فوائى (ثم) بعد رفع الغمة عنكم (اقضوا) أى ادوا اداء الواجب من حقى الذى هو اهلاكى فى زعمكم (الى ولا تنظرون) أى لا تمهلونى فاذا لم تقدروا فاقبل مايظهر من ذلتكم عجزكم عنى مع كثرة أموالكم وأعوانكم ومن عزتى حفظ الله اياى مع ذلتى بقلتهما (فان توليتم) أى أعرضتم عن قصد اهلاكى اما لانه لم يثقل عليكم مقامى وتذكيرى فاى ضرر لكم فى الايمان بى (فما سألتكم من أجر) ينقص مالكم الذى هو عزتكم أو ينقص أجركم الاخروى (ان أجرى) على اهدائى اياكم (الا على الله و) اما الخوف الذلة بالعجز عن اهلاكى والاذلة فى الانقياد لامرى اذ هو أمر الله وأنا (أمرت أن أكون من المسلمين) فانتم بالحقيقة منقادون لامر الله وهو موجب لعزتكم (فكذبوه) فلم يجعلوا امره امر الله فعززناه (فنجيناه ومن معه) عن الغرق اذ جعلناهم (فى الفلك) زيادة فى اعزازهم اذ (جعلناهم خلائف و) اذلة المغترين بعزة أموالهم وأعوانهم اذ (أغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) فلم ينالوا بعزة نسبتها الينا الا بعد سبب لكونه بعد الانذار به على التكذيب (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) الذين لم ينالوا بما أنذروا به اغترارا بعزة الاموال والاعوان كيف انقلبت الى ذلة أبدية (ثم بعثنا من بعده رسلا) ظهر عليهم فى ابتدائهم ذلة قلة الاموال والاعوان مع عزة الهداية (الى قومهم) المغترين بعزة الاموال والاعوان (فجاؤهم بالبينات) المفيدة عزة الهداية (فما كانوا ليؤمنوا) لعدم مبالاتهم بعزتها مع عزة الاموال والاعوان فلم ينالوا معها (بما كذبوا به من قبل) تعززا عليه لان الله تعالى طبع على قلوبهم فرأوا العزة الحقيقية وهى عزة الهداية ذلة والعارضية وهى عزة الاموال والاعوان عزة حقيقية (كذلك نطبع على قلوب المعتدين) أى المجاوزين مقتضيات حقائق الاشياء ليفعل بهم مثل مافعل بالمعتدين من اذلالهم على الابد بعد عزتهم بالاموال والاعوان (ثم) أى بعد بعث أولئك الرسل وتبديل ذلتهم الظاهرة بالعز مع عزة اعدائهم وتبديل عزة قومهم بالذلة الابدية (بعثنا من بعدهم موسى وهرون) مع ظهور ذلة القلة عليهما ابتداء (الى فرعون وملائه) الظاهرة عليهم عزة الاموال والاعوان لكن العزة الحقيقية كانت لموسى وهرون لاتباعهما

(يا يانقنا)

الفراء فيه نقسه معناه سنهت نفسه فنقل الفعل عن النفس الى ضمير من وصيت النفس على التشبيه بالتوصيه وقال الاخفش معناه سفه فى نفسه فاسقط حرف الخفض نصب مابعده كقوله ولا تعزموا

(بآياتنا) لتكبرهم لم يبالوا بعزتها (فاستكبروا) عليها بعزتهم (و) لم يكن لاستكبارهم بها وجه بل (كانوا قوما مجرمين) أى عاصين لمن اعزهم بها وكيف لا يكونون مجرمين ولم يزالوا معاندين للدلائل القاطعة (فلما جاءهم) الدليل (الحق) الذى لا شبهة معه على رسالتهما الموجبة عزة الهداية لهما (من عندنا قالوا) لرفع عزتهما بالهداية وجعلها ذلة عليهما مع ذلتهما بقلة الاموال والاعوان (ان هذا لسحر مبين) أى تلبيس ظاهر (قال موسى أتقولون للحق) انه سحر (لما جاءكم) على وجه لم يترك لكم شبهة (أسحر هذا) مع قطعيته بحيث لا يبالى معه للشبهة لو لم يرفع (و) يكفى فى قطعيته انه سبب فلاحى مع انه (لا يفلح الساحرون قالوا) منع كونه تلبيسا وقد (جئتنا لتلفتنا) أى لتصرفنا (عما وجدنا عليه آباءنا) وهو الحق الصريح (و) تبطل عزتنا اذ (تكون لكما الكبرياء) أى غاية العزة التى تصير بها كل عزة بالنظر اليها ذلة على ان كبرياءكما ليس باعتبار اتصافكما بعزة الهداية بل (فى الارض و) لكنه انما يكون لو آمنا بكما لكن (ما نحن لكما بمؤمنين) لتبقى عزتنا (وقال فرعون) حفظا لعزته بعد ما ذهبت بالعجز لآيات موسى ودفعا لعزة موسى بها (ائتونى) لمعارضته (بكل ساحر) أى ماهر فى باب السحر (عليم) أى محيط بأبوابه (فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به) لا يصلح لمعارضتى لانه (السحر) وقرئ بهمزة الاستفهام ومعناه أيصلح السحر للمعارضة وهو وان بلغ ما بلغ (ان الله سيبطله) لئلا يعارض آياته ولو لم يكن معارضا لها لا بد من ابطاله لكونه افسادا لما يصلحه الآيات (ان الله لا يصلح عمل المفسدين و) لو لم يكن افسادا لم يكن الله ليصلحه انما (يحق الله) أى يثبت الله الدليل (الحق بكلماته) أى أوامره (ولو كره المجرمون) الذين يؤثرون فى السحر بأوامرهم التى يموهون انفاذها فليس لاوامرهم معارضة أوامر الله فابطال الله وأظهر ذلتهم وعزة موسى بالهداية لكن لم يبطل بذلك عزة فرعون بالاموال والاعوان ابتلاء (فما آمن لموسى) بعد ظهور عزة الهداية عليه (الا ذرية) أى شبان (من قومه) راكبين (على) متن (خوف من فرعون وملائهم) ان يظهروه فيما بينهم فيصل الخبر الى فرعون وهو موجب (أن يفتنهم) أى يعذبهم (وان فرعون) وان عجز عن معارضة موسى فظهرت ذلته (لعال) ذو عزة لنفوذ تصرفه (فى الارض وانه) وان علم انه لا عبرة لها تلك العزة مع عزة الهداية (لمن المسرفين) بترجيح هذه العزة على عزة الهداية (وقال موسى يا قوم) الخائفين من فرعون ان يفتنهم (ان كنتم آمنتم بالله) فيما بينكم (فعليه توكلوا) فى اظهاره ان يحفظكم عن فتنة العدو فانه يحفظكم (ان كنتم مسلمين) أى منقادين له بصدق التوكل وبجعله سبب ايمان الخلائق حتى يجتمعوا على الايمان بالله حتى تظهر عزتكم وتنقلب عزة فرعون ذلة (فقالوا) عند اظهار الايمان (على الله توكلنا) ليحفظنا من فتنة العدو قبل اجتماع الخلائق على الايمان ودعوا ليجتمع تأثير الدعاء مع تأثير التوكل فقالوا (ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) لتظهر عزتهم وتذهب عزة ايماننا بآياتك (ونجنا) عن ذلة فتنتهم (برحمتك) التى استحققناها على نصرديك

عقدة النكاح معناه على عقدة النكاح (سراويس وسروبل) بمعنى واحد (قوله عز وجل سيدا) أى قصدا (قوله لسعيرا) أى ايقادا وسعيرا أيضا اسم من أسماء جهنم (سأل) مبنى أنما جهنم

(من القوم الكافرين) المستحقين لكل الاذلال (وأوحينا الى موسى وأخيه) لحفظ قومهما من فتنة العدو (ان تبوآ) أى اتخذا مباءة (لقومكما بمصر) لاخراجه اياهم (بيوتا) لئلا يؤاخذكم بالخروج عن دينه لئلا يزعموها فلا تخرجوا عنها التجتمعوا للحكايات فيصل خبرهم الى العدو (واجعلوا بيوتكم قبلة) أى مساجد فلا تصلوا خارجها فيصل خبر صلاتكم اليه (و) مع الخوف من ظهورها (اقيموا الصلوة) لتستعينوا بها على العدو (و بشر المؤمنين) باعانته لهم ونصره اياهم (وقال موسى) داعيا لابطال عزة فرعون بالاموال اذ كان منها خوف قومه من اظهار الاسلام والصلاة (ربنا) أى يا من ربانا بعزة الهداية (انك آتيت فرعون وملأه زينة) أى ما يتزين به من الحلى واللباس والمركب (وأموالا) يتعزز بها (فى الحيوة الدنيا ربنا) أى يا من ربانا بعزة الهداية التى فوق عزتهم بها عزة هداية بان يتخذوها مزرعة الآخرة فيكونوا سالكى سبيلك بل (ليضلوا عن سبيلك) بالتكبر عليك وعلى آياتك ورسلك (ربنا) مقتضى تربيتك ايانا ان تبطل عزتهم لاظهار عزتنا (اطمس على أموالهم) أى اجعلها حجارة لا ينتفع بها (واشدد) أى اقس (على قلوبهم) فلا تلين بذهاب عزتهم بالاموال أيضا (فلا يؤمنوا) ليحصل لهم بدل عزة الاموال عزة الهداية (حتى يروا العذاب الاليم) من المؤاخذة الدنيوية وهى لا تمنع من قبول الايمان معها ونفعه من جهة الآخرة ان لم يكاشف اصحابها عن أحوال الآخرة ولم ييأس عن نفسه وان لم ينفع فى دفع تلك المؤاخذة فلا يكون هذا من قبيل الرضا بالكفر وكان موسى يدعو وهرون يؤمن (قال) تعالى (قد أجيبت دعوتكما) أى دعاؤكما وان أخر المطلوب الى أربعين سنة ليزدادوا ظلما فيزدادوا عذابا (فاستقيما) أى فاثبتا على ما أنتم عليه من الدعوة الى الاسلام والزام الحجة (ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) فى عدم الثقة بوعد الله ولما قرب وقت حصول المطلوب أمر الله عز وجل موسى ان يخرج ببنى اسرائيل فتوسط البحر فشققناه (وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر) لتوهم فرعون انا نجاوزه به مثل مجاوزتنا بهم (فاتبعهم فرعون وجنوده) فى دخول البحر على ظن المجاوزة فعاينا انا انما جاوزناه بهم ليكون آية على كونهم مظلومين وكان اتباعهم (بغيا) أى ظلما (و) ليس كالماضى بل (عدوا) أى تجاوز حد فصاروا كالغرقى فى بحر الظلم وهو موجب للغرق الظاهر ولم ينتبه لهذه النكتة الموجبة للايمان (حتى اذا أدركه) أى لحق فرعون (الغرق قال) بعد الوقت الذى دعا ان لا يؤمن قبله (آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنوا اسرائيل) لينجينى من الغرق انجاءهم (وانا من المسلمين) أى المنقادين لاوامره التى أنزلها على رسله فقال له جبريل (آلآن) تؤمن وتسلم لتنجو من الغرق (وقد عصيت قبل) بترك الانقياد لامر الاسلام وغيره فصار عادة لك فلا يعد عودك اليه لو نجوت (و) لم تقتصر على العصيان بنفسك بل (كنت من المفسدين) عقائد الخلائق وأعمالهم فلا يعد عودك اليه لكن لابد لايمانك من أثر (فاليوم ننجيك ببدنك) أى باخراج بدنك بلا روح من البحر (لتكون لمن خلفك آية) على انك عبد هالك لا اله صاعد الى السماء لانهم وان رأوا غرقك ربما يغفلون عن اهلاكك كيف (وان كثيرا من

(سلم) بفتح اللام استسلام وانقياد والسلم السلف أيضا والسلم شجر أيضا واحدتها سلمة والسلم والسلم بتسكين اللام وفتح السين وكسرها الاسلام والصلح أيضا والسلم الدلو العظيمة

الناس عن آياتنا) التي هي أعظم دلالة علينا وعلى صدق رسلنا وجزائنا يوم القيامة من دلالة غرقك على هلاكك (لغافلون) فايمانه لم يفده النجاة عن الاهلاك الدنيوي ولا من العذاب الاخروي على حقوق الخلق من اضلال مالا يحصر وذبح أولاد بني اسرائيل واستعبادهم ولا على الكفر لو أيس من نفسه أو شاهد عالم الملكوت على من يدعي عليه الاجماع فهذا اذلال فرعون بسلب عزة الاموال والاعوان عنه (ولقد) عززنا بني اسرائيل بتلك العزة مع تعزيزهم بالهداية ومجاوزة البحار (بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق) أي أنزلناهم منزلا ثابتا لا يزعجهم عدو وهو المطلوب من عزة الاعوان (ورزقناهم من الطيبات) المطلوبة بعزة الاموال وكان هذا موجبا لاتفاقهم على عزة الهداية اذ حصل لهم بعزتها عزة الاموال والاعوان وسلبنا عن اعدائهم لكنهم اختلفوا (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم) بما يوجب الاتفاق من هداياتهم لكن لما انضم لهم الى عزتهم اعزة الاموال والاعوان أفادتهم الكبر المانع من انقياد البعض للبعض فتنازعوا نزاعا لا ينقطع بهم أبدا لكن الله يقطعه (ان ربك يقضي) بما يرفع النزاع (بينهم يوم القيامة) بأثابة البعض ومعاقبة البعض لا في الاموال التي اتفقوا على صلاحها أو فسادها فقط بل (فيما كانوا فيه يختلفون) أيضا عن عناد واذا عرفت اختلافهم في كتابهم الذي يزعمون الاتفاق على الايمان به فلا يبعد اختلافهم في كتابك مع شدة عنادهم معك (فان كنت في شك مما أنزلنا اليك) من اختلافهم فيه اذ آمن به بعضهم وكفر بعضهم (فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) هل كتابك موافق لكتابهم في الاعتقادات والاخبار وكيف لا يكون موافقا لها والله (لقد جاءك الحق) المطابق في الكتب السالفة (من ربك) الذي ربالك بموافقة الكتب السالفة فاذا وافق الكتاب الالهي باتفاق (فلا تكونن من الممترين) أي الشاكين في انه منزل من عنده أو أتى به شيطان اليك اذ لا يأتي الشيطان بالهداية المحضة فان اخفوا عليك الموافقة أو توهمت ان الشيطان جاء بها ليستدرج الى اضلال ابطال أحكام تلك الكتب بطريق النسخ فلا تشكن في انه عاجز عن الاتيان بالمعجزات (ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله) التي يعجز الشيطان عن الاتيان بمثلها (فتكون من الخاسرين) للهداية الموجب خسرانها خسران السعادة الابدية وان توهمت خسران الهداية بتلك الكتب بتوهم كونه من الشيطان وعدم ايمان بعض أهل الكتاب بكتابك ليس بخلل في اعجازه بل لكونهم ممن حقت عليهم كلمة ربك (ان الذين حقت عليهم كلمت ربك) لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين (لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية) يمكن ظهورها (حتى يروا العذاب الاليم) الاخروي لانه لا ينتقض قضاء الله والآيات وان كانت أسباب الايمان فلا يؤثر بدون ارادة الله وقد أرادها هنا خلافها وهذا لا يفيد قطع العذاب الاخروي كما لا يفيد الايمان لرؤية العذاب الدنيوي قطعه فان ناقش فيه أحد قيل له (فلولا كانت قرية آمنت) بعد رؤية العذاب الدنيوي (فنفعها ايمانها) في دفعه (الا قوم يونس) نفعهم ايمانهم فرفع عنهم العذاب الذي رأوا علامته فانهم (لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي) الذي يفتضحون

(سلام) على أربعة أوجه السلام الله عز وجل كقوله المهيمن والسلام المؤمن كقوله تعالى لهم دار السلام عند ربهم أي دار السلامة وهي الجنة والسلام

به في المتأخرين فيتأملون به بعد الموت ورأوا التألم بعذاب الآخرة وان كانت الفضيحة
(في الحياة الدنيا) وذلك انه بعث يونس عليه السلام الى قرية ينوى من الموصل فوعدهم
العذاب بعد ثلاث وأربعين فظهر غيم أسود دخان شديد غشى مدينتهم فطلبوا يونس فلم
يجدوه فأيقنوا بصدقه ولبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم
ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فعلت الاصوات والضجيج وتضرعوا وأخلصوا
التوبة فكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة (و) لم تقتصر على كشف العذاب بل
(متعناهم) بالحياة الدنيوية ونعيمها أيضا (الى حين) وهو انتهاء اجل كل واحد في حقه ثم أشار
الى أن عدم ايمان أهل الكتاب بآياتك ليس دليل قصورها بل هي كاملة تقتضي ايمان الكل
لكن المشيئة الالهية تفوق البعض (ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا) لا يتأخر
ايمان البعض عن البعض ولكن شاء تأخر ايمان البعض لينال السابق فضيلة السبق وشاء
كفر البعض ليظهر قهره كما ظهر بايمان البعض لطفه على انه لو شاء ايمان الكل لشاء باختياره
(أ) تشاء ايمان الكل وان لم يختره البعض (فأنت تكره) على الايمان (الناس) الذين
لا يختارون الايمان (حتى يكونوا مؤمنين) أي يتفقوا على الايمان مع انك تماكرههم على
الاقرار باللسان (و) اما التصديق القلبي فلا يدخل تحت الكراهة لذلك (ما كان لنفس أن
تؤمن) أي تصدق بالقلب (الا باذن الله) وهو وان كان باختيار منها فانما يختارها نفس
زكاها الله فجعلت هواها تابعة لعقلها (ويجعل الرجس) أي خبث الهوى (على الذين
لا يعقلون) فيجعلون عقولهم تابعة لاهويتهم (قل) لاهل الرجس ان لم تنظروا في آيات
الله (انظروا ماذا) من الآيات الدالة على
ذات الله وتوحيده وصفاته وأسمائه وأفعاله المنتشرة (في السموات والارض) فلو لم تنظروا
فهو دليل جعل الله رجس الهوى عليكم (و) انه بالغ من الغاية بحيث (ما تغني) أي ما تنفكي
(الآيات) السماوية والارضية وما ظهر على أيدي الانبياء (والنذر) من الانبياء والعلماء
(عن) بلغ رجس (قوم لا يؤمنون) وانما لم يؤمنوا الآيات والنذر (فهل ينتظرون) الايمان
(الا مثل) وقائع (ايام) الكفرة (الذين خلوا) أي مضوا (من قبلهم) نصارت سنة لامثالهم
فان شكوا في حصولها لهم (قل فانتظروا) حصولها لكم لا بطريق الاحتمال بل بطريق
القطع (اني معكم من المنتظرين) وقد جرى صدقي ولا يمنعني منه توهمي ان اشاركهم فيه
باتحاد المكان لان الله تعالى قال لي انا نعذبهم العذاب أولا (ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا
بايديهم عن ذلك المكان ولا يختص ذلك بالبعض بل (كذلك) يعم الكل لانه كان (حقا علينا)
تمييز المستحق عن غيره ولا محالة (ننج المؤمنين) لتميز العذاب على الكفر عن البلاء الشامل
للفاجر والبر فان زعموا ان هذا الانتظار انما يصح لو صحت رسالتك ولا دليل عليها من الآفاق
التي أمرتنا بالنظر في آياتها (قل يا أيها الناس) أي الذين تسوا دلالة عموم الحكمة فيما على انه
لا يعطي المعجزة للكاذب الا ان يعارض دلالتها بما يكذبها من دعوى الالهية أو الرسالة مع

الشك أو الفسق (ان كنتم في شك من ديني) مع كونه ظاهر الرشد وقد ظهرت المعجزات على يديه (فلا) موجب للشك في ديني من عبادة الادنى فضلا عن اعتقاد الالهية اذلا (أعبد الذين تعبدون من دون الله) مع ان الدون لا يستحق العبادة بالذات ولا باعتبار الرجوع اليه للمجازاة (ولكن اعبد الله الذي) يستحقها الذاته والرجوع اليه للمجازاة لانه (يتوفاكم) ليرجع بكم اليه فيجازيكم على اعمالكم (و) لادعى الالهية لنفسي وان بقيت به اذا قول (أمرت أن أكون من المؤمنين) باعلى مراتب التوحيد (و) لادعى اسقاط التكليف عني فقد حتى أكون فاسقا اذا أمرت (أن أقم وجهك) أي اجعله مستقيما متوجها (للدين) الكامل (حنيفا) أي مائلا عن القصور وترك التكاليف قصور (و) مع ذلك (لا تكونن من المشركين) بدعوى الكمال لنقصانك بالحدوث (و) من الميل الى القصور باعتقاد تأثير الاسباب لذلك قيل لي (لا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك) وان كانت من اسبابهما (فان فعلت فانك اذا من الظالمين) بتشريك الاسباب لله في التأثير (و) لا يرتفع باعتقاد عدم استقلالها في التأثير بل (ان يمسسك الله بضر فلا كاشف له) من الاسباب لا مستقلا ولا غير مستقل (الا هو) وان كان يفعل عند الاسباب لكن لا بها (وان يردك بخير فلا راد) من أسباب فضله (لفضله) لكنه انما يقع على خرق العادة لذلك (يصيب به من يشاء من) خواص (عباده و) لا يمنع منه سبب الضد على تقدير تأثيره اذ (هو الغفور) اي الساتر لتأثيره (الرحيم) بافاضة ضد مقتضى سبب الشر فان ردوا فضلك بالرسالة وزعموا ان خوارقك لاسباب لها اكتسبتها (قل يا أيها الناس) اي الذين تسوا الفرق بين ما يكون فيه للسبب دخل وبين ما لا يكون (قد جاءكم) الدليل (الحق) الذي لا يتغير بتغير الاسباب فعلم أنه (من ربكم) اي ربيكم بالهداية على يدي (فمن اهتدى فانما يهتدي) لنفسه (لنفسه) لان نفسي لسبقها بالكمالات (ومن ضل فانما يضل) نقصا (عليها) يمنع ترقيه وما انا بمعصوم نقصه على (و) انى مع بلوغي غاية الكمال الممكن (ما أنا عليكم بوكيل) الجئكم الى الهداية (و) مع ذلك قيل لي (اتبع ما يوحى اليك) في التبليغ وان لم يهتدوا به (واصبر) على أذياتهم في التبليغ (حتى يحكم الله) بالقتال (وهو خير الحاكمين) بجعل مقتولنا شهيدا ومقتولهم طريدا ثم والله الموفق واللهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة هود)

سميت بها لقوله ما من دابة في الارض الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم الدال على توحيد الافعال مع استقامته باعطاء كل مستعد ما يستعده المقتضية للاحكام والجزاء وهي من أعظم المقاصد (بسم الله) المتجلي بجمعيته في كتابه الجامع (الرحمن) باحكام آياته لنفع الكل (الرحيم) بتفصيلها لنفع الخواص المطلعين عليه (الر) اي أجلى لوامع الرشد أو أعلى لوامع درجات أو أجل لطائف الربوبية أو أتم ابواب الرحمة (كتاب

قوله اي لا تقبل قوله وجاز ان يكون جماعون الكذب اي يسمعون منك ليكذبوا عليك سماعون لقوم آخرين لم يأتوك اي هم عيون لا ولين الغيب وقوله عز وجل وقيل